اقتصاد المعرفة في - رمزية الماء لدى متصوفة المغرب الأوسط - قراءة في الحضور على مستوى النظام الغذائي والنشاط المهني-

اعداد
د. ومان حورية زينة جوادة
جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر

Doi:10.33850/ajahs.2020.73636
الاستلام : ١٠ / ٢ /٢٠٢٠ القبول : ٢٥ / ٢ /٢٠٢٠

المستخلص :
تهدف هذه الدّراسة إلى استجلاء الرَّمزية التي يتقمصها الماء عند الصوفي بالمغرب الأوسط ، فبالارتكاز على المصادر التاريخية التي ترجمت لمذهب حياة عند الصوفية وسلوكهم التعبدي، أُعتبر الماء ظل لصيقا بالصوفية في حلّهم و ترحالهم،لارتباطه بالمقدس التعبدي وأبعاده الدَّلالية في المخيال الصوفي، مما جعلته يُقيم العديد من أماكن خلواته بقرب منابع الماء، علاوة على تواجده في منظومته الغذائية المتَّسِمة بالبساطة والتقشف، بل ألفيناه طبقا رئيسا له فربما أراق على العسل ماءًا مكتفيا به،وقد يعزف عن المشروب المائي الشهر أو أكثر دون أن يحلق به أي ضرر،أما على المستوى العملي ونشاطه المهني فقد كان له حضورا مميزًا و بارزًا، حيث اشتغل مهنًا مرتبطة اشد الارتباط بالماء كالفلاحة، الصيد البحري، سقاية الناس والتطيب بالرقى باستخدام الماء. كما نجح في تجسيد مشاريع تنموية تجلت في مدِّ مدينته بالمياه بعد عجز السلطة السياسية عن تحقيق ذلك، وحفر الآبار لفائدة المسلمين، وجعلها في خدمة كل محتاج وعابر سبيل،أما أداءه الكرامي وبركات دعواته فقد أفاضت على الساكنة حياة بعد أن داهمها القحط في الكثير من الأحيان.
كلمات مفتاحية:رَّمزية؛ صوفي؛ مغرب أوسط؛مشروب مائي؛مقدس تعبدي.

Abstract:
This study aims to clarify the symbolism that water finds itself in the Sufi in the Central Maghreb, based on historical sources that have been translated into the doctrine of life in Sufism and their devotional behavior, water was considered a shadow of Sufism in their solution and their travels, because it is related to the devotional sanctuary and its seminal dimensions in

the Sufi imagination, which made it many values From the places of his retreat near the sources of water, in addition to his presence in his food system characterized by simplicity and austerity, but we wrote it according to his president, so perhaps he sprinkled honey on water that was sufficient for him, and he might be discouraged from the water drink a month or more without any harm done to him. The level of the work and his professional activity, as he had a distinguished and prominent presence, working in professions that are closely related to water, such as agriculture, marine fishing, watering people and finishing with sophistication using water. He also succeeded in embodying development projects manifested in the extension of his city with water after the political authority was unable to achieve this, and drilling wells for the benefit of Muslims, and making them at the service of all needy and passers-by, while his generous performance and blessings of his prayers have led to a still life after he was raided by droughts in many times .

Kay Word: Symbolism; Sufis; MiddleMaghreb; Water Drink; Devotional Sacred.

المقدمة:

يعدُّ موضوع الماء من أجل الموضوعات التي تستحق البحث والعناية وأخذها بالتناول والدّراسة، من مُنطلق أنَّه إكسير الحياة ومنبع البقاء وسيّد الشراب، وبنقصانه أو زيادته، يختل التوازن البيئي وتتعطل الأنشطة الاقتصادية، وتنمحي كل مظاهر الحياة الاجتماعية، ومن مدى أهميته وحوج البشر إليه تتشكل رمزيته وأبعاد دلالته. هذا ما أعطاه عند الصوفية قدسية خاصة، ورمزية مستوحاة من عالمه الروحي وحياته التعبدية، وأفادتنا المصادر التي ترجمت لمذهب حياتهم وسلوكهم التعبدي بمدى متانة تلك العلاقة الترابطية، التي جمعت الصوفي بالماء، فامتهن مهنًا لا تقوم إلاّ بوجوده، وشكل زخم الكرامات المائية عنده ما ينبأ بأهمية هذا الأخير في الرمز الصوفي، وفي المشروع الإصلاحي الذي تبناه هذا الأخير. هذا ما يدفعنا لطرح إشكالية مفادها:

– ما الأبعاد الرمزية التي اتخذها الماء في الثقافة الصوفية؟

- هل اتبع الصوفي نفس النهج المتسم بالتقشف وعدم حاجته للطعام مع الشراب المائي في منظومته الغذائية؟
- ما مدى حضور العنصر المائي في المهن التي أقبل عليها الصوفي؟
- بماذا يمكن أن نفسر تصاعد الكرامات المائية لدى متصوفة المغرب الأوسط؟ وهل اكتفى الصوفي بتقديم حلول ظرفية لتحكم في المورد المائي؟ أم تخطاها إلى أعمال تنموية؟

وعمدنا لإثراء الموضوع الاستعانة بالمنهج الاستدلالي،الاستقرائي وكذا التحليلي حسب ما تقتضيه حاجة الدّراسة وانتهجنا خطة بحث مهيكلة على الشكل الآتي:

١. المقدمة.
٢. ضبط الكلمات المفتاحية للدّراسة.
٢. ١. الرمزية:أ) لغة . ب) اصطلاحًا.
٢.٢. الماء في ميثولوجيا المخيال الرمزي لمتصوفة المغرب الأوسط.
٣. المشروب المائي في المنظومة الغذائية للصوفي – حضور أساسي أم اختيار كمالي –
٤. الماء والنشاط المهني للصوفي بمسحة الأداء الكرامي.
٥. الخاتمة.

١.ضبط الكلمات المفتاحية للدّراسة:

١.٢- الرمزية :

أ) **لغة** :

في اللّغة كُلُّ ما اشرت إليه مِمَّا يُبان بلفظ، بأي شيء أشرت إليه، بيدٍ أو بعيْنٍ، ورَمَزَ، يَرْمُزُ، ويَرْمِزُ، رَمزًا، الرَّمِيزُ: العاقل التَّخينُ الرَّزينُ الرَّأي بيَّن الرَّمازَةِ، وقد رَمَزَهُ، والرَّامُوزُ: البَحْرُ، وارتَمَزَ الرّجُلُ وتَرَمزَّ: تحرَّكَ، والرَّميزُ: الكثيرُ الحركة. (ابن منظور، الصفحات ١٧٢٧-١٧٢٨)

ب) **اصطلاحًا** :

عرفه الطوسي(ت ٣٧٨ه/٩٨٨م):" معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلاّ أهله،وقالبعضهم: من أراد أن يقف على رموز مشايخنا فلينظر في مكاتباتهم ومراسلاتهم، فإن رموزهم فيها لا في مصنفاتهم". (الطوسي، صفحة ٤١٤)

ونقرأ في المعجم الفلسفي: ‘‘هو ما دّل على غيره، دلالة معان مجردة على أمور حسيّة كدلالة الأعداد على الأشياء،ودلالة أمور حسيّة على معان مصورة كدلالة

الثعلب على الخداع،والكلب على الوفاء، ويطلق الرمز على كل حد في سلسلة المجازات يمثل حدًّا مقابلاً في سلسلة الحقائق ". (الحنفي، ٢٠٠٠، صفحة ٣٨٤)

وذهب أحد الباحثين إلى تقسيم الرمز الصوفي إلى ثلاثة أنواع وهي الرمز الذّهني، والرمز الحسّي، وكذا الرمز المجازي.وقال فيهم:" فالرّمز الذهني ليس رمزًا مفردًا، بل تركيبًا لفظيًا عاديًا، لا يُستمد من الواقع لأن معادله الموضوعي لا ينتمي إلى الواقع بل إلى الذّهن، حتى يبدو النص كأنّه لا رمز فيه، رغم كونه مبنيا أساسًا على رمز كبير هو اللّقاء بين الله الصوفي، أمّا الرمز الحسّي فهو رمز مباشر يقع غالبًا في كلمة واحدة و هو رمز مكثف في بيان موجز، أما الرمز المجازي فهو المعاني الثانوية التي يُعطيها المجاز ، لأن المجاز هو التّعبير غير المباشر، وهو الإيحاء و الإشارة، فبعض الرّموز تنتج معاني مجازية، كما أن بعض الصور البيانية تتكرّر في نتاج الصوفيين، فتتحول إلى رموز، فالرمز المجازي مجال لتّعدد المعاني، لأنه ضدّ الحقيقة " (حماد، ٢٠١٤، الصفحات ١٠٨-١٠٩). وفي دراستنا لرمزية الماء عند متصوفة المغرب الأوسط سنقف لا شك عند النمط الثاني من هاته الرموز في محاولة لاستجلاء دلالاته وايحاءاته.

وما يمكن أن نخرج به أن الصوفية لهم لغتهم الرَّمزية التي تبطن فيها الكثير من المعاني و الدلالات المرتبطة بالمقدس الدّيني عادة و ايحاءات أخرى لا يفهمها إلا من ولج هذا العالم و تعمّق فيه ، و هو متعدد بل يمتَّد ليحوي كل ما يدور بالبشر في كلياته وجزئياته،وعبرالقشيري(ت٤٦٥ه / ١٠٧٢م)عن ذلك فقال:"وهذه الطائفة يستعملون ألفاظًا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجمال والتستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع من تكلف،أو مجلوبة بضرب تصرُّف بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قومٍ، واستخلص لحقائقها أسرار قوم" (القشيري، صفحة ١٥٠). وهو ما أشار إليه الغبريني(ت ٧١٤ ه /١٣١٤ م) عند ترجمته لأبو محمد بن سبعين المرسي (ت٦٦٩ه / ١٢٧٠ م) أن له تسميات مخصوصة في كتبه وهي نوع من الرموز، وله تسميات ظاهرة مثلها مثل الأسامي المتعارف عليها وليست بمبهمة أو مستعصية الفهم. (الغبريني، ١٩٧٩، صفحة ٢٣٨)

٢. ٢- الماء في ميثولوجيا المخيال الرمزي لمتصوفة المغرب الأوسط:تهتم الميثولوجيا غالبا بدراسة الأساطير القديمة خاصة الدينية،وقصدنا من توظيفها تناسبها في بعض شق طروحاتها مع موضوع بحثنا لكونها تهتم بأحداث حقيقية أبطالها أشخاص كانوا على قيد الحياة ولكن مع تعظيمهم وشهرتهم تم إضافة شائعات لأعمالهم وظلت رواياتهم تُحكى عبر الأجيال.

المتتبع لتلك العلاقة الترابطية التي ربطت الصوفي بالماء، يجدها علاقة احتواء وقداسة ، فعلاوة على أن الماء هو شرط ضروري لاستمرار الحياة، فإن الصوفي أصبغه بتمثلاته الرمزية، و قدراته الكرامية فأصبح رمزا للماء في حدّ ذاته، بل حتى أن كلمة الولي تُرجمت على أنها تفيد معنى المطر المتتابع (بن عبد العزيز، ١٩٩٦، صفحة ٧٧).فأحب الأشياء إلى المتصوفة لا تستقيم إلاّ بالماء وهي"النظافة،والطهارة،وغسل الثوب،والمداومة على السواك، والنزول عند المياه الجارية والفضاء الواسعة والمساجد التي في الأطراف،والخلوة،والاغتسال في كل يوم جمعة في الشتاء والصيف والرائحة الطيبة، وأطيب الطيب: الماء الجاري، والمداومة على الاغتسال وتجديد الوضوء، وإسباغ الوضوء" (الطوسي، الصفحات ٢٠٠-٢٠١)،فمن ذلك أن الولي الصالح يعقوب بن عمران البويوسفي كان إبريق الوضوء لا يفارقه أثناء سفره (ابن قنفد، أنس الفقير و عزّ الحقير، ١٩٦٥، صفحة ٦١)،أما أبو الفضل النحوي فإن إناء مائه لم يكن ينقص عند فراغ وضوئه، بفضل بركة كرامته (زيات، ١٩٩٧، صفحة ٩٨)، وكان جد ابن مرزوق يملك بئرا في منزله فيستقي منه عند كل صلاة. (ابن مرزوق، ٢٠٠٨، صفحة ١٥٦)

كما حرصوا كل الحرص على أداء صلاتهم في وقتها صيفًا وشتاءًا، فلا يحول بينهم وبينها عذر ولا حائل وهو ما كان ديدن جد ابن مرزوق لأمه إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي ومما نقله أبو زكريا يحيى الجزولي عند زيارته له مع أبي العباس والد ابن مرزوق، زمن الشتاء حيث عمد إلى قدر من الماء فجعله على النار حتى تنكسر حدّة برودته ثم فرقها عليهم للوضوء،حتى لا يعتذروا من برد الشتاء فتفوتهم الصلاة في وقتها. (ابن مرزوق، ٢٠٠٨، صفحة ٢٤٦)

ما يُفهم من تصفحنا لحياة العديد من المتصوفة أنهم لم يكن أجلد منهم على العبادة والطهارة والاغتسال حتى اللحظات الأخيرة من مفارقتهم الحياة وهو شأن الولي أبو زكريا يحيى بن أبي علي المشهور بالزواوي (ت٦١١ه/ ١٣١٤م) الذي"قُبض طاهرًا صائما صامتًا، معتكفًا في الجامع الأعظم" (الغبريني، ١٩٧٩، صفحة ١٦٩)، وفسرَّ الطوسي ذلك على أنه من آدابهم ورغبتهم في الموت على طهارة إذا داهمهم الموت (الغبريني، ١٩٧٩، صفحة ١٩٨)، وهو ما يفسر حرصهم على تزويد بيوتهم بالمنشآت المائية كالبئر (ابن مرزوق، ٢٠٠٨، صفحة ١٥٦)، والماجل (الغبريني، ١٩٧٩، صفحة ١٤٩).والماجِلُ: الذي فيه ماءٌ فإذا بزُغَ خرجَ منْهُ المَاءُ، ومن هذا قِيلَ لمستنْقع،الماجِلُ: الماءُ الكثيرُ المُجْتمِعُ، ويقال: الماجل أو الصهريج. (ابن منظور، صفحة ٤١٤٢ ، مج ٦ ، ج٤٨)

وارتباط الصوفي بالماء لم يكن يقف عند حاجته إليه في أموره التعبدية فقط،بل كان يُحبذ البقاء بقربه و الخلود إليه في خلوته،فكان ساحل مطغرة معروفًا بالصالحين (ابن صعد، النجم الثاقب في ما لأولياء الله من مفاخر، ١٩٥٠)، وشيّد العديد من

ربطه بقربه كرابطة ابن الزيات ببجاية (ابن قنفد، أنس الفقير و عزّ الحقير، ١٩٦٥، صفحة ٣٧)،هذا وعُرف عن الولي الصالح أحمد الغماري(ت٨٧٤ه/ ١٤٦٩م)في ابتداء أمره تردده لسواحل ندرومة في كثير من المرات،متبتلاً فيها للعبادة،وشاع عنه كرامة طي البحر،فكان يلقي طرفاه فيجتازه بقدم واحدة (ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ٢٠٠٢، صفحة ٢١٩)، وشَغُف محمد بن عمر الهواري(ت ٨٤٣ه / ١٤٣٩م) بالسياحة وركوب البحر فزار العديد من جزر البحر المتوسط (ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ٢٠٠٢، صفحة ١٥). لذا يمكن القول أن الصوفي له قربة وصل مع البحر، بل كان ذلك الهدوء الذي يبعثه في النفس باعثًا في تعمق الصوفي في تجربته الروحية،وتلاطم أمواجه معبرًا عن الصخب الذي تضج به نفسه لكل ما هنالك من حولها، حتى شُبه غضب الولي بغضب الماء. (ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ٢٠٠٢، صفحة ٢٢٤)

لذا فلا عجب أن يلتجأ المسافرين عبر البحر للتخفيف من الذعر والخوف الذي يُصيبهم إلى تلاوة الحزب الصوفي المشهور"بحزب البحر"لنور الدين أبو الحسن الشاذلي(ت ٦٥٦ه / ١٢٥٨م)، وهي عبارة عن ابتهالات تتوسل لله عزّ وجل في حفظ المسافرين من قراصنة البحر ومن كل خطر قد يداهمهم. (بن عبد العزيز، ١٩٩٦، صفحة ٢٢٨)وأورد محمد بن سلامة البسكري دعاءًا يقرأ عند ركوب البحر: أنظر اللَّوامع والأسرار في منابع القرءان والأخبار، نسخة مصورة عن موقع https://ketabpedia.com، وللإشارة فإن اسم المؤلف بحسب ما جاء في المخطوط: محمد بن سلامة، وليس عيسى بن سلامة كما وجدنا أن البعض أثبته بهذا الاسم. (قدوري، ٢٠١١، صفحة ٨٧)

الأكثر من هذا أن الماء كان بشارة لصلاح الولي وفأل خيرًا عليه قبل ولادته، فالشريف التلمساني(ت كان حيا ٨٤٨ه/١٤٤٤م)،نقلابن مريم(ت ١٠١٤ ه/ ١٦٠٥م)أن أمه"رأت في نومها وهي حامل به أن طائرًا أحسن الطيور دخل طوقها وخرج من أسفل ثيابها ثم أصابها عطش فطلبت الماء فأتيت بإناء بالماء فشربت فإذا بذلك الطائر قد نزل على الإناء وشرب منه كثيرًا حتى كاد الإناء يفرغ". (ابن مريم، ١٩٠٨، الصفحات ١٢٧-١٢٨)بل قد يتعدى الماء وظيفته المنوطة به أساسًا فيصير كالزيت الذي يصلح لإنارة المصباح، بفضل بركة الولي و قدراته التي تُبهر النفوس و تخطف العقول،وهو ما جرى مع الولي أبو الفضل القرشي القرطبي(ت ٦٦٣ ه/ ١٢٦٤ م)،حين خرج مع عدد من الصالحين ، وسهروا في الليل فنفذ الزيت من المصباح ، فأمرهم بجعل الماء في المصباح ، فظل متقدًا حتى وقت الصباح. (الغبريني، ١٩٧٩، صفحة ١٧٦)

إنّ رمزية الماء في اللّغة الصوفية حملت بين ثنايا طيّاتها دلالات شتّى متجذرة في الضمير الجمعي وذات ارتباط وثيق بالمقدس التّعبدي" فكان الوضوء رمز يدل على التّطهر وإزالة النّجاسة وغسل الذنوب وتهيئ النفس للحياة النقية، والماء في حدّ ذاته رمز لتجدد الحياة وانبعاثها،وعدم فراغ الإناء يعني أن فرص التوبة والانبعاث والدخول في الحياة الطاهرة النقية لا تنقطع، بل هي متواصلة مستمرة لمن يريد الاغتسال من ذنوبه" (بوتشيش، ١٩٩٩، صفحة ١٠٥). وأضاف أحد الباحثين رؤيته لرمزية الماء " فلرَّبما من الجذر ماء(م.و.ي) تأتي الكلمة اليوم أي النور والنهار والحياة، والكلمة أم، أي الرامزة للدلالة عينها والأم نبع، وأصل، ومصدر الأشياء، أنها نظير الماء، بل أن الأم والماء في الميثولوجيا، رمزًا لشيء واحد". (زيغور، ١٩٨٤، صفحة ١٨٣)

ورمز البحر لا ينفصم أيضا عن دلالة الماء في أبعاده وتجليات اللغة الصوفية في استخدامه فهو في شاسعته رمز لفسحة الأمل وتحسن الأحوال، وباب التوبة الواسع، أما طيهم له والمشي عليه فنعتقد أنه يُحاكي التشبه بالمسيح عيسى عليه السلام، الذي يُنقل أنه كان يمشي فوق الماء (بن عبد العزيز، ١٩٩٦، صفحة ٣٠٥)، كما كان البحر معبرًا لعديد الرحلات الروحانية التي قام بها المتصوفة للحج وغيرها. (ابن مريم، ١٩٠٨، الصفحات ٣٤-٣٥)

هذا و نَعوزُ أيضا حضور الماء في الفكر الصوفي نظرًا للدور الذي كان له في خلق الإنسان و بعث الحياة على سطح الأرض،وقد صرح القرآن الكريم بذلك فقال عز وجل:**"وَ جَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ أَفَلَاْ يُؤْمِنُونَ"** (سورة الأنبياء ، الآية {٣٠})، وفي القصص القرآني نلمح للماء دورا هامًا فيها، كقصة نوح عليه السلام، وصالح عليه السلام، وموسى عليه السلام، يونس عليه السلام،كما تعالج أيوب عليه السلام بالماء، وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم في استعماله لعلاج الحمى (٢٠٠٣، صفحة ٧٨).

من هذا المنطلق كتب أحد الباحثين معلقًا:أن" الرّمز لغة المقدس المفضلة و بامتياز إنه لغته القادرة على تجسيد غموضه و إبهامه و تعددية أبعاده ومعانيه، وكذا تحويل تعبيراته و تجلياته إلى تعبيرات و تجليات كونية " (زاهي، ٢٠١١ ، صفحة ٧٦)،لذا يمكن القول أن الصوفية لا غنى لهم عن لغة الرمز، ذلك أن اللغة العادية لا تستوعب أبعاد مفاهيمهم، ويشوبها القصور في الصدح عما يصور فكره و يترجم أحواله و يعبر عن مواجيده،والكرامة في حدّ ذاتها تتسم بطابع رمزي محض يخضع له التصوف ذاته. (الراوي، ١٩٩٤، صفحة ١١٥)

وما يمكن تحصيله أن رمزية الماء لدى متصوفة المغرب الأوسط نابعة من رحم تجربتهم الروحية التي دائما تستقي أبعادها المفاهيمية من المقدس الدِّيني، واعتمدوا"ملكة الرمز"لتعبير عن مكنوناتهم ونظرتهم للحياة، لعدم قدرة اللّغة العادية

على استيعاب ما تَوجُد به قرائحهم من مشاعر وجدانية. لذا فالماء كان ظل الصوفي في حركاته وسكناته حتى اللّحظات الأخيرة من انقطاع حبل الحياة وتوديع الدنيا الفانية.

٣. المشروب المائي في المنظومة الغذائية للصوفي، حضور أساسي أم اختيار كمالي؟

يعدُّ المأكل والمشرب من ضروريات الحياة حتى يستمر الإنسان ويضمن بقاءه، غير أن الصوفية سلكوا مسلكًا مخالفا للطبيعة البشرية المتعارف عليها، فاشتهروا بالتقشف والزهد و تطليق الدنيا والعزوف عن شهواتها، واقتصارهم على القوت القليل والزاد البسيط الذي يسدُّ رمقهم ويضمن لهم العيش تحقيقًا للقاعدة السنية ومحاولة لإبراز الخصوصية الصوفية الحريصة على معرفة مصدر وطبيعة منظومتها الغذائية كرمز من رموز الصوفية. (لدرع، ٢٠٠٦، صفحة ١٨٥)

ونقلت لنا الكتب المنقبية عديد النماذج التي تصور طبيعة منظومتهم الغذائية المتسمة بالقلة و البساطة والاكتفاء بما حضر من الأكل فكان والد ابن مرزوق كثير الصيام ، لا يفطر إلا نادرًا، وأكثر أكله ثريدًا من الخبز بإدام خفيف من سمن أو شحم، ولا يأكل الفاكهة اطلاقًا (ابن مرزوق، ٢٠٠٨، صفحة ٢٢٢)، وهو شأن محمد السنوسي الذي كان يصوم يوم بيوم، و يفطر على يسير الطعام، وقد يبقى ثلاثة أيام أو أزيد لا يأكل ولا يشرب (ابن مريم، ١٩٠٨، صفحة ٢٤٣)، كما حرصوا في ذات الوقت على استقصاء الحلال في مأكلهم ومشربهم كأبو زكريا الزواوي الذي لا يقتات إلا على المباح كالبقول المطروحة وما جرى مجراها (الغبريني، ١٩٧٩، صفحة ١٢٧)، وسكن أبو مدين شعيب (ت ٥٩٤ ه/ ١١٩٧م) بجاية لأنها تُعين على طلب الحلال حسبه. (ابن مريم، ١٩٠٨، صفحة ١١٣)

وفي خضم حديثنا على طبيعة المأكل الصوفي، فيحق لنا التساؤل عن حضور المشروب المائي وهل كانت حاجتهم له بمقدار حاجة الأشخاص العاديين؟ أم أنهم لجأوا إلى الاستغناء عنه استغنائهم عن شتى زُخرف الطعام؟

الحق أن البحث في المضان المصدرية التي ترجمت حياتهم، لا يذكر صراحة المشروب المائي إلا في مواضع قليلة، لكن يمكن أن نستشف من بعض النصوص الواردة فيها عديد الطروحات منها:

- أن الصوفي كان قليل شرب ماء شأنه شأن الطعام، بدليل كثرة اعتكافه وصيامه فالسنوسي (ت٨٩٥ه / ١٤٨٩م) كان يبقى ثلاثة أيام لا يأكل ولايشرب،وكذا ظلّ الحسن أبركان أربعين يوما لم يأكل فيها شيء ليلاً ولا نهارًا. (ابن مريم، ١٩٠٨، صفحة ٨٨)

- تقصي الصوفي للماء الصالح للشرب تقصيه طبيعة مأكله، فممَّا ورد عن أحمد الغماري أنه قال: "الماء إذا كان فيه العلق لا يشرب (ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ٢٠٠٢، صفحة ٢٢٤)، والعلَقُ هو دود أسود يمتَّصُ الدَّم يكون في الماء الآسن، إذا شرْبته الدابةُ، عَلِقَ بحلقها واحدته:عَلَقةٌ. (مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤، صفحة ٦٢٢)
- كما أن المشروب المائي لدى المتصوفة تختلط به أيضا كرامة الولي وبركته فأحمد الغماري ، كان يخرج إلى سوق ندرومة في زمن الحرّ، كل يوم خميس فيسقي الناس بالسوق بإبريق كان يحمله ، فيشربون كلهم على كثرتهم ومن بركة كرامته أن الماء كان ينبع من قعر الإبريق لذا لا ينفذ ماؤه أبدًا (ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ٢٠٠٢، صفحة ٢١٩)، وهو ما يُحيلنا للقول أن الصوفي كان يُدرك حاجة الجسم للماء لاسيّما في زمن الحرّ على و إن جاء ذلك في سياق خدماته الاجتماعية، التي تعود القيام بها بالمجان إلاّ في حالات ضيقة، كما تؤكد شمول البركة لكل ما يلامس المتصوف أو يقرب بقربه.
- نظرًا للزهد الذي بدر من الصوفي بمجاهدته لنفسه واكتفاءه بالقليل في تسيير شؤون حياته ، لذا لا عجب أن يصب على العسل ماءًا كوجبة غداء مكتفيا به ، ومن القرائن الدَّالة على ذلك ما أقدم الولي يعقوب بن عمران البُويوسفي على تقديمه لضيفه عندما زاره في وقت تعذر عليه فيه تحضير الطعام (ابن قنفد، أنس الفقير و عزّ الحقير، ١٩٦٥، صفحة ٦١)،وكان إبراهيم التَّازي يأكل التمر مع الماء ويقدمه لضيوفه (ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ٢٠٠٢، صفحة ١٤٧)، و نجد لهذا السلوك الغذائي أبعاد في السنة النبوية فمما نقله ابن القيّم الجوزية(ت ٧٥١ه/ ١٣٥٠م) أن الرسول- صلى الله عليه وسلم -كان يحب أكل العسل بالماء (ابن القيم، ١٩٩٨)، ودّل ابن صعد على سلوك ابراهيم التّاَزي بسند معروف إلى السيّد جعفر بن محمد الصادق قال جعفر :" أضافنا أبي محمد ابن علي الباقر على الأسودين التمر و الماء". (ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ٢٠٠٢، صفحة ١٤٧)
- كان ماء المطر مفضل على غيره من المياه نظرًا لبركته وقدسية رمزيته (ابن قنفد، الأرجوزة في الأغذية و الأشربة)، في المنظور الصوفي، لذا فقد خفق الحرالي(ت٦٣٨ه/١٢٤١م) على عقب إجابة دعوته بالنزول المطر في الجفاف الذي حلَّ ببجاية فكان يملأ يديه من ماء المطر فيشرب ويغسل وجهه. (الغبريني، ١٩٧٩، صفحة ١٤٩)

Doi:10.33850/ajahs.2020.73636

والأكيد أن الصوفي لم يكن ليستغني عن الماء كأي طبيعة بشرية، فالماء كان وسيظل سيّد الشراب، غير أن كاريزما كرامة الولي أصبغته بما شاع عن كثير من الأولياء فلا ينفذ، وقد يكتفي الصوفي بإراقته على ما يصلح للأكل مكتفيًا به، أو ربما استحال إلى زيت فيبقى المصباح متوقدًا حتَّى الصباح، وغيرها من الكرامات التي كان الصوفي يستعين بالماء لتؤتي مفعولها،وتسخيره كأحد الآليات التي يرجى منها تفعيل الأداء الكرامي وتفريج كرب المحتاجين، علاوة على حاجته إليه في نظافته من طهارة ووضوء وغيرها.

٤. الماء والنشاط المهني للصوفي بمسحة الأداء الكرامي:

لم يقتصر الارتباط الذي لزم الصوفي بالماء في حياته التعبديّة ومنظومته الغذائية فقط، بل سجل حضورًا بارزًا في المهن التّي عكف على ممارستها،وقد اشتغل في عموم أمره مهنًا تُبْعده عن الشبهات والحرام،وتضمن له الكسب الحلال الطيب، ومن تتبعنا للمصادر المنقبية التي أرخت لهؤلاء المتصوفة ونقلت نبذا من كراماتهم وما اشتهروا به، فقد أفادتنا في الوقوف عند مهن عدة كان الماء هو عنصر المشترك بينها والرمز المشكل لها وفق ما يوضحه الجدول رقم ٠١.

جدول رقم (٠١): المهن التي مارسها متصوفة المغرب الأوسط ذات الارتباط بالماء.

الصوفي	المهنة	التدليل المصدري	المصدر/ الصفحة
والد، وجد ابن مرزوق	**الفلح**	" كان لا يأكل عند أحد إلا من عرف مكسبه، من تجارة أو فلاحة فكان زرعه من فدانه الذي ورثه عن أبيه ".	ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص/ ٢٢٢.
أحمد الغماري	**سقاء**	" فإذا كان يوم الخميس وهو يوم الخميس وهو يوم اجتماع القبائل لسوق ندرومة بخارجها أخذ إبريقا له وجعل يدور به على أهل السوق يسقيهم الماء منه وذلك في زمن الحرِّ و لا يزال كذلك يتعرض لهم بإبريقه من أول السوق إلى آخره ".	ابن صعد، روضة النسرين، ص/ ٢١٩.
أبو محمد عبد السلام التونسي	**الفلح**	" وكان يلبس كساءًا خشنا على جلده ويأكل الشعير الذي يحرثه بيده ".	ابن زيات،التشوف، ص/ ١١٠.
محمد بن يعقوب	**التطبيب (رقية في الماء).**	"أن محمد بن عبد القوي أصابه وجع وانتفخ بطنه ...أشرف منه على الموت ...أشرف منه على الموت ...يرقى لنا ماء ليستشفى بشربه برقاه...فشربهُ وذهب عنه ما كان يجده من ألم	المازوني، صلحاء وادي شلف و٥١ و، و٥٢ ظ.

		الوجع..".	
يحيى بن عبد الله	**الفلاح**	"من كرامته ما حدثني به خديمه، قال عندنا هري في دار الشيخ لا يخلو من الزرع أبدا والشيخ صاحب زرع في زمن الغلاء لم يبق الزرع إلا عنده".	ابن مريم،البستان، ص/ ٣٠٧.
أبو محمد عبد الواحد وأبو عبد الله المستاري	**الفلاح**	" كانا يتعيشان من أرض لهما بالموقع المعروف بـ "اغلان" من بني مستار.	ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص/ ١٨٣- ١٨٤.
أبو عبد الله البوني	**الصيد**	" فوجدته بمرقعة،وبيده قصبة صيد الحوت"	ابن قنفد، أنس الفقير، ص/ ٩٤- ٩٥.

نلحظ من خلال الجدول أن المتّصوفة كانوا أصحاب مهن، كما يمكن أن نقف على مدى قداسة العمل عندهم ونبذهم لمختلف أشكال البطالة و الخمول، واستقوا هذا الفكر العملي من المنهج العقدي للدين الإسلامي منها قوله تعالى: **"وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَ رَسُولُه‌ُو المُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّون إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَ الشَهَادَةِ فَيُنَبئُكُم بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ"** (سورة التوبة الآية {١٠٥})، وفي حديث له صلى الله عليه وسلم : عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **"ما أَكَلَ أَحَدٌ طعامًا قطُّ، خيرًا من أن يأكلَ من عَمَلِ يدِه، وإنَّ نبيَّ اللهِ داوُدَ عليهِ السلامُ كان يأكلُ من عملِ يَدِهِ"**. (الألباني، ٢٠٠٢ ، صفحة ٢٢)

المهن المشار إليها في الجدول تشترك فيما بينها في ضرورة توفر عنصر الماء كالفلاحة والصيد وعلاج المريض برقى باللُّجوء إلى توظيف الماء كأداة فعالة في تحقيق الأداء الكرامي ، كما لا تخلو من الرمزية التمثيلية للقيم الصوفية،فحرصهم على مزاولة مثل هاته المهن مرده إلى حرصهم على معرفة مصدر مكسبهم، والثواب الذي يلحق صاحبه،لذا فقد كان والد ابن مروزق لا يأكل عند أحد إلا إذا عرف بمصدر رزقه، وكان كسبه من فدانه الذي ورثه عن أبيه، كما عُرفوا بحث النَّاس على مزاولة الفلاحة والغرس كأحمد الغماري الذّي يخاطبهم قائلاً:"أهل المغرب أقوى و أحرص على عمل الفلاحة من أهل تلمسان فإذا اعتذر له الحاضرون يقول لهم لو علمتم ما في ذلك من الفضل و الثواب ما وسعكم هذا العذر" (ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ٢٠٠٢، صفحة ٢١٦)، وأوصى والد ابن مرزوق ابنه" إياك والدنيا واشتغل بنفسك و تسبب بالحراثة والتجارة ولا تترك العلموتمسك به". (ابن مرزوق، ٢٠٠٨، صفحة ٢٥٢)

والأمر نفسه يقال في مهنة الصيد الذي يظهر مرة أخرى العلاقة الترابطية بين الماء والصُوفي، كأبو زكريا الزواوي الذي إذا اشتهى اللحم نزل للبحر ليصطاد السمك (الغبريني، ١٩٧٩، صفحة ١٢٧)، ولربما تأخذ السمكة في ميثولوجيا المخيال

الرمزي للمتصوفة معنى التجدد والإنبعاث ، والتَّطهر من الخطيئة أيضا، وهذا ما دّل عليه رمزها غالبا في الأساطير العربية والحضارات السامية والمعتقدات الدينية والسماوية، كقصة النبي يونس عليه السلام (زيغور، ١٩٨٤، صفحة ١٨١)، علاوة على ارتباطها بالبحر والذي أشرنا آنفا أن رمزيته تحمل في دلالتها فسحة الأمل، وباب التوبة الواسع، والحياة الروحية الهادئةوالمتزنة.

كما كان الماء وسيلة طبية ناجعة لجأ المتصوف إلى اعتمادها لعلاج بعض الأمراض برقية وإرساله إلى صاحب العلّة مثلما فعل الولي محمد بن يعقوب بماء رقاه وأرسله إلى محمد بن عبد القوي الذي اشتكى انتفاخ بطنه،واعتمد أيضا ماء المطر لعلاج المرأة التّي لا تلد، حيث يوضع في إناء جديد وتقرأ عليه الفاتحة وآية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم سبع مرّات، وتشربه سبع ليالي متتالية فتحمل لبركة فضله وقدسية رمزيته في مخيال الصوفي. (قدوري، ٢٠١١)

هذا ولم يتوقف عند هذا الحدّ بل إن الكتب المنقبية والتراجمية تطلعنا على مدى زخم الكرامات المائية التي تمتع بها عديد متصوفة المغرب الأوسط، ووظفتكمهن وخدمات مجانية إن صح التعبير ، خففت من عناء ساكنة المغرب الأوسط في كثير من الأحيان و يمكن أن نرصد تجلياتها على النحو الآتي :

- **الاستسقاء:**

جدول رقم (٠٢): ظاهرة الاستسقاء ومناطق توزيعها من خلال الكتب المنقبية.

الصوفي	المنطقة	التدليل المصدري	المصدر / الصفحة
أبو زكريا يوغان الصنهاجي	تلمسان	" حدثوا عنه أن أهل تلمسان قحطوا فاستسقوا به فسقوا ".	التشوف، ص/١٢٤.
أبو البيان واضح	تلمسان	" وهو اتجاه زاوية الشيخ سيدي واضح ارعوى الناس منه وفروا حوله بخيالهم ومواشيهم واحترفوا بزاوية الشيخ مستجرين بربه ...فبرز الشيخ في سواد الليل من مغارته السحور ويزان المحلة كأنها أمواج البحور ومن السماء بطرفه وتضرع إلى ربه".	صلحاء وادي شلف، و٥١ ظ. (الخزانة العامّة الرباط)
أبو الحسن الحرالي (ت ٦٣٨	بجاية	"كنت ببجاية، فأصاب النّاس جفوف عظيم، وقلّت المياه، وجفّ أميسون ...حتى كان المطر كأفواه القرب،	عنوان الدّراية، ص/١٤٩.

ه/١٢٤٠م)		وروي الناس وأغدقوا..".	

المتفحص لتاريخ المغرب الأوسط يجد أنه كان عرضة لمختلف الجوائحوالأزماتالطبيعية التي ألمَّت بساكنته على رأسها القحط والجفاف، منها قحط سنة(٤١١ه/ ١٠٢٠م) والذي شمل بلاد المغرب من تاهرت إلى سجلماسة (ابن أبي زرع، ١٩٧٢، صفحة ١١٨)، وقحط سنة(٦٩٢ه /١٢٩٢م) (ابن خلدون، ٢٠٠٠، صفحة ٢٩٠)، ممّا جعل الساكنة في حرج شديدٍ من أمرها، ولم تكن وطأتها لتخف إلاّ في قليل النادر،غير أن ظهور الولي بخطابه الصوفي ومحملاً بكريزما "الكرامة"، الذي أمكنه تقديم حلول ظرفية في أزمنة استثنائية وهو أمر يستعصي على النَّاس العاديين، ونقلت لنا المتون المنقبية عديد التمثلات الإجتماعية لهذه المساهمة، بل يُمكن القول أن كرامة الإستسقاء سجلت حضورا بارزًا لدى متصوفة المغرب الأوسط،موزعة على مناطق جغرافية متباينة وفق ما يبرزه الجدول رقم ٠٢.

ما يمكن رصده من الجدول أنّ الحواضر الكبرى في تاريخ المغرب الأوسط لها حضور قوي في الإفادة من كرامة الاستسقاء ويُعزى ذلك أساسًا لكونها مناطق لتمركز العلماء والمتصوفة، ولكن هذا لا يعني غيابها في مناطق أخرى، بل إن هذا مرتبط بالشواهد التي قدمتها الكتب المنقبية والتراجمية للصلحاء والأولياء الذين ترجمت لهم.

والملاحظ لطبيعة كرامة الولي يجدها تتسم بالاستمرارية والديمومة حتى بعد موته ، فكانت الساكنة تتجه لقبورهم للتضرع وطلب البركة من أجل نزول المطر، وقضاء حوائج أخرى ذلك أن الدعاء عند قبورهم مستجاب الدعوة، ومن ذلك زيارتهم لقبر أبو مدين شعيب (ابن قنفد، أنس الفقير و عزّ الحقير، ١٩٦٥، صفحة ١٠٤)، وأبي محمد عبد السلام التونسي وتلميذه أبي زكريا بن يوغان الصنهاجي (ابن خلدون ي.، ١٩٠٣، صفحة ٢٣)، و لم يكن طلب الولي من أجل التدخل للاستسقاء بسبب موجات الحر والجفاف التي كثيرا ما داهمت الساكنة فقط، بل قد يحدث بسبب حالة طارئة وخاصة أثناء الحروب وما كانت يقاسيه السكان بسبب اعتماد خطة الحصار قصد التضييق عليهم من أجل تسليم المدينة للعدو المناوئ لهم، مثلما حصل لأهل قسنطينة مع بنو غانية حيث قطعوا الماء عن المدينة ما دفع بهم اللّجوء إلى الولي الحسن علي بن مخلوف ليستسقي لهم، فأغاثهم الله بمطر حطم سد بنو غانية، ونجاهم مما هم فيه من الضّيق و سوء الحال. (ابن قنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ١٩٦٨، صفحة ١٠٣)

وكما تمتع الولي بكرامة الاستسقاء لنزول المطر فقد يقع العكس في ظروف أخرى ،منها ما جرى مع جماعة الفقراء الذين كانوا في ضيافة محمد الهواري وأردوا الرجوع لتلمسان فلم يأذن لهم الشيخ حتى اليوم الذي كان فيه الجو سيئا شديد المطر،

فتحيروا من أمرهم غير أنهم سمعوا كلامه وخرجوا، فلم يجاوزوا حدّ البلد حتى ارتفع المطر وانقشع السحاب حتى وصلوا تلمسان سالمين، فعاد الجو إلى سابق عهده فكثر هطل المطر و تساقط الثلوج، وكل ذلك ببركة الولي محمد الهواري (ابن مريم، ١٩٠٨، الصفحات ٢٣٥-٢٣٦)،مما يجعلنا نعتقد أن الكرامة المائية ذات جذور ارتباطية بالذات الصوفية، فهي تتدفق من كل جوانب الطهارة و السمو في عالمه ومنطق فكره، وهي طوع أمره و رهن إشاراته.

وأدَّى غضب الولي وسخطه في مرات عدّة إلى انقطاع الماء على الأشخاص المغضوب عليهم، ومن ذلك ما جرى مع أحد السلاطين بني زيان عندما خرج إلى المسجد مختالاً بنفسه، فلما دخل الجامع وعزم على الوضوء وجد مائه غار في الأرض، وعندما أعلن توبته أمام الشيخ عبد الله بن منصور الحوتي وذهب يتوضأ فوجد البئر عاد إلى سابق عهده من تدفق الماء فيهوفي حادثة مشابهة أيضا غار الماء بسبب تعدي الساكنة على حرمة الولي وظلمه. (ابن مريم، ١٩٠٨، صفحة ١٣٩)

وهو شأن الولي سيدي الشيخ بن موسى بن الولي الصالح عبد الرحمان بن يحيى بن صفية الذي يُنقل أنه نزل بالقرب من عين بني مطهر المسماة الآن برقنت وذهبت خادمته للواد لغسل الصوف فمنعها أهل العين، وعندما أخبر الولي بذلك تكدّر صفوه فغار ماء العين فاحتاروا في أمرها، وعندما تباحثوا الأمر تذكروا ما فعلوه بخادمة الشيخ، فقدموا عليه وطلبوا العفو والصفح،وسألوه الدعاء لردّ ماء العين، فاشترط عليهم قدرا من الحبوب يؤدونه فأجابوه لطلبه، وما هي إلا هنيهات حتى عاد ماء العين لسابق عهده،ومزال أهل العين حتى زمن صاحب المرآة الجلية يؤدون المقدار الذي اشترطه عليهم الولي لأولاده (الجيلاني ، ٢٠٠٦، الصفحات ٤٥-٤٦)، ورغم بعد الشاهد المصدري بفترة ليس بطويلة عن العصر الوسيط، غير أننا لجأنا لإيرادها قصد الإشارة إلى استمرار مأزق توافر المصادر المائية بالمغرب الأوسط، واستمرت معها الكرامة المائية للولي في الفاعلية والذاكرة الجمعية .

وبالوقوف على هذه العلاقة التَّرابطية للماء مع الولي الراسخة في الذِّهنية الجمعية فقد حثت الآثار المنقبية على اللّجوء للأولياء عند القحط والجفاف"إذا غلّت أسعاركم وقلّت أمطاركم وضعفت ثماركم وتنّكرت قلوبكم وعمِّيت عن الرُّشد مسامعكم وكثرت النميمة والغيبة في خياركم وجارت عليكم ملوككم فالتجئوا إلى الله بالأولياء الذين خلف ظهوركم يؤمنكم الله مما تخافون ". (سلامة، ٢٠٠٦، صفحة ٣٠٥)

- **حفر الآبار، ومد قنوات المياه للمدينة:**

لم تقف مساهمات الصوفي عند الكرامات المائية فقط، بل تعدتها إلى مشاريع تنموية، منها حفر الآبار وإذ يروي لنا ابن قنفد(ت٨١٠ه/١٤٠٨م) (سلامة، ٢٠٠٦،

صفحة ٨٦)، أن عبد الواحد الصنهاجي وزوجته فاطمة اللّذين عرفا عنهما بذل الخير والصلاح حفرا بئرًا بوسط الطريق العام وخرجا عنه للمسلمين. وعلق ادموند دوتي على مثل هاته المساهمات التي تبناها عديد الأولياء"وكان الصلحاء مرتبطين دائما بمنابع الماء أو العيون ويستمد بعض منهم وخاصة بالصحراء شهرتهم من الآبار التي حفروها، وعديد الصلحاء الذين حولوا أرض غير صالحة للزراعة إلى واحات خضراء". (ادموند، ٢٠١٤، صفحة ١٣٢)

وكذا مد المدينة بقنوات المياه وهو ما قام به إبراهيم التازي، الذّي أدخل الماء لساكنة وهران بعد أن كانوا في مشقة كبيرة منه، وسروا به سرورًا منقطع النظير (ابن صعد، النجم الثاقب في ما لأولياء الله من مفاخر، ١٩٥٠، صفحة و٣٥و ، ج١)، وجرى انجاز المشروع بعد اتفاقه مع أثرياء المنطقة بتقديم الأموال اللّازمة لإتمامه وجلب الماء من ينابيعه البعيدة (ابن صعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، ٢٠٠٢، صفحة ٢٨)، وعدّ من أعظم أعماله في ميزان حسناته، وأوضح صاحب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ما كابده من مشّاق وأن المنبع الذي جر منه المياه ليس بين أبراج البلد كما شاع بين الناس، بل من مكان بعيد، عينه أحدهم بقول من الشعر الملحون : (أحمد، ٢٠١٣، صفحة ١٩٧)

غاست الأشراف وأين هو زيان * وإبراهيم الظريف التّازي يذكر**
كانت دار القرار له وهران* جمع رَاسْ العُيون من يفرى للحر.**

حوصلة القول إن الصوفي امتهن عديد المهن التي كان قوامها الماء، وأطلعتنا المصادر المنقبية على مدى ثرائها بالكرامات المائية التي كان مفتاحها الدعاء المستجاب والتَّضرع لله عز وجل، وقد ساهمت هذه الأخيرة في تفريج هموم الساكنة التي طالما شكت قلّة الماء وعانت ظاهرة القحط والجفاف، وتعدَّى في مشاريعه الخيرية والإصلاحية إلى حفر الآبار وتزويد المدينة بالمياه، ممَّا قد يُخفف من وطأة معاناتهم في تزود بعنصر الحياة وسرّ بقاء الكائنات الحيّة على وجه الأرض.

٥. الخاتمة:

أمكننا من خلال دراستنا الموسومة بـ: "رمزية الماء لدى متصوفة المغرب الأوسط -- قراءة في الحضور على مستوى النظام الغذائي والنشاط المهني-" الخروج بعدد من النتائج نبرزها فيما يلي:

- حملت رمزية الماء لدى المتصوفة دلالات مشحونة بشتى معاني الطهارة والسُّمو وباب التوبة الواسعة، والتجدد والانبعاث والإقبال على الحياة بكل طاعة واعتدال.
- تبين لنا من خلال المصنفات المنقبية التّي سعت للترويج لمكانة الولي وقدراته الكرامية زخم الكرامات المائية مقارنة بالكرامات الأخرى، مما أفصح لنا عن

تلك العلاقة التي طالما شدَّت الصوفي بالماء فكان سبيله للطهارة البدنية لتأدية شعائره الدّينية، وآثر بعضهم بناء أماكن خلوته بقربه لما يبعثه فيه من الراحة النفسية ليغوص في عمق تجربته الروحية،وفي كثير من مرات كان معبر رحلاته لطلب العلم وأداء فريضة الحج وحتى لقاء أقطاب التصوف.

- التجاء الساكنة إلى المتصوفة لطلب الاستسقاء في عديد المرات يكشف لنا حجم معاناتهم وحاجتهم لهذا المورد الأساسي،وغياب السلطة السياسية التي يُفترض أن تكون لها مساهمات ملحوظة باعتبارها المنوطة بهذه المسؤولية.
- كشفت لنا المصنفات المنقبية مدى اهتمام الصوفي بعنصر الماء فاشتمل بيته على المنشآت المائية كالبئر والماجل.
- استمد الصوفية تمثلاتهم الرَّمزية للماء بالاستناد إلى القرآن والسنة لذا سجلت حضورًا في حياته المعاشية والمهنية، المتَّسِمة بالتقشف والبساطة والاكتفاء بما هو ضروري، لذا وجدناه في غنى عن الطعام والشراب في أكثر أحواله، وساهم في تضخيم هذه الصورة هالة القداسة والتعظيم الذي أحاطته به الكُتب المنقبية.
- استثمر الصوفي في الكرامة المائية بإغاثة الساكنة زمن القحط والجفاف،والقيام بالكثير من الأعمال الخيرية التي رمى منها تخفيف وطأة قلّة الماء فحفر الآبار، ومدّ مدينته بالمياه رغم المشَّاق التّي كابدته لتوصيله لها.
- لم يرتقي الأداء الكرامي الذي أبداه المتصوف لتوفير لماء إلى مستوى الحلول الجذرية بدليل أن أدائه الكرامي المائي، وكذلك مشاريعه التنموية اتسمت بمحدودية المناطق الجغرافية التي مسَّتها مسحة الإصلاح.
- يمكن أن نقف من خلال ما أمدتنا به الكتب المنقبية في خضم حديثها عن اسهامات المتصوفة في توفير الماء على عديد المنابع والوديان التي كانت توفر هذا العنصر الهام للساكنة وبالتالي تسعفنا في رسم الخارطة المائية للمغرب الأوسط حتى ذلك العهد.

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.

١. ابن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب*. القاهرة: دار المعارف.

٢. إبراهيم القادري بوتشيش. (١٩٩٩). الخطاب الإجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصري المرابطين و الموحدين – مساهمة في دراسة الفكر الإجتماعي للبلدان المتوسطة. *ندوة جوانب من التاريخ الإجتماعي للبلدان المتوسطة خلال العصر الوسيط*. مكناس.

٣. ابن أبي زرع. (١٩٧٢). *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*. الرباط: صور للطباعة و الوراقة.

٤. ابن خلدون. (٢٠٠٠). *العبر*. (سهيل زكار، المحرر) بيروت: دار الفكر.

٥. ابن زيات. (١٩٩٧). *التّشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العبّاس السَّبتي*. (أحمد التوفيق، المحرر) الرباط: منشورات كلية الآداب.

– ابن صعد. (١٩٥٠رقم). النجم الثاقب في ما لأولياء الله من مفاخر.٢،١). الدار البيضاء:. نسخة مصورة عن ميكروفيلم لمخطوط مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز.

٦. ابن صعد. (٢٠٠٢). *روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين*. (يحي بوعزيز ، المحرر) الجزائر: ANEP.

٧. ابن قنفد. (١٩٦٥). *أنس الفقير و عزّ الحقير*. الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي.

٨. ابن قنفد. (١٩٦٨). *الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية*. (محمد الشاذلي النيفر، و عبد المجيد التركي، المحررون) تونس: دار التونسية للنشر.

٩. ابن قنفد. (بلا تاريخ). الأرجوزة في الأغذية و الأشربة. *نسخة مصورة*. الدار البيضاء: مؤسسة الملك عبد العزيز.

١٠. ابن مرزوق. (٢٠٠٨). *المناقب المرزوقية*. (سلوى الزاهري، المحرر) الرباط: منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية.

١١. ابن مريم. (١٩٠٨). *البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان*. الجزائر : مطبعة الثعالبية.

١٢. الألباني. (٢٠٠٢). *مختصر صحيح البخاري*. الرياض : مكتبة المعارف للنشر و التوزيع.
١٣. المازوني ، صلحاء وادي شلف .الخزانة العامّة الرباط. (بلا تاريخ). نسخة مصورة عن ميكروفليم لمخطوط الخزانة العامّة. *(٥٢٣٤٣)*. الرباط.
١٤. *النّزغارير غالب محمد رجًا ، الماء في القرآن الكريم*. (٢٠٠٣). المدينة: دار الزمان للنشر و التوزيع.
١٥. الطاهر قدوري. (٢٠١١). صورة البحر لدى مغاربة العصر الوسيط ، ، ع١٢ ، يونيو. *دورية كان التاريخية*(١٢)، ٨٥-٨٩.
١٦. الطوسي. (بلا تاريخ). *اللّمع*. (تح عبد الحليم محمود، و طه عبد الباقي سرُور، المحررون) القاهرة: دار الكتب الحديثة.
١٧. الغبريني. (١٩٧٩). *عنوان الدّراية فيمن عُرف من العُلماء في المائة السابعة ببجاية* (الإصدار ٠٢). (عادل نويهض، المحرر) بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.
١٨. أحمد سحنون الراشدي. (٢٠١٣). الجزائر: عالم المعرفة للنشر و التوزيع.
١٩. آمال لدرع. (٢٠٠٦). الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني (٦٣٣هـ ١٢٣٦م)، (٩٦٢ هـ ١٥٥٥م). *رسالة ماجستير*. قسنطينة: جامعة منتوري قسنطينة.
٢٠. بن عبد الحكم سيدي الحاج اليحياوي العطافي الجيلاني . (٢٠٠٦). *المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحى بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية*.
٢١. بن عبد الله محمد بن عبد العزيز. (١٩٩٦). *الماء في الفكر الإسلامي و الأدب العربي* (المجلد ٠١). الرباط: وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية،.
٢٢. حمزة حماد. (٢٠١٤). الرمز بين الرؤية الصوفية و الإبداع الفنّي. *مجلة كلية الإلهيات بجامعة ٩أيلول إزمير*، ٢ (٤٠).
٢٣. ابن القيم الجوزية. (١٩٩٨). *زاد االمعاد في هدي خير العباد* (الإصدار ٣). بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٤. عبد الحليم محمود، و محمود بن الشريف . (بلا تاريخ). *الرّسالة القشيرية*. القاهرة: دار المعارف.

٢٥. عبد الستار الراوي. (١٩٩٤). *التصوف و الباراسايكولوجي*. عمان: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
٢٦. عبد المنعم الحنفي. (٢٠٠٠). *المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة*. القاهرة: مكتبة مدبولي.
٢٧. علي زيغور. (١٩٨٤). *الكرامة الصوفية و الأسطورة و الحلم*. بيروت: دار الأندلس.
٢٨. مجمع اللغة العربية. (٢٠٠٤). *المعجم الوسيط* (المجلد ٤). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
٢٩. ادموند دوتي. (٢٠١٤). *الصلحاء – مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر* -. الدار البيضاء: افريقيا الشرق للنشر والتوزيع.
٣٠. نور الدين زاهي. (٢٠١١). *المقدس و المجتمع*. الدار البيضاء : إفريقيا الشرق.
٣١. نيللي سلامة. (٢٠٠٦). *الولاية و المجتمع – مساهمة في التاريخ الإجتماعي والدّيني لإفريقية في العهد الحفصي*- (الإصدار ٢). تونس: دار المعرفة للنشر.
٣٢. يحيى ابن خلدون. (١٩٠٣). *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*. الجزائر: مطبعة بيير فونطانا الشرقية.

Doi:10.33850/ajahs.2020.73636